الفصل الخامس

الحركة السنوسية

تنسب هذه الحركة الى السنوسى الكبير . وهو محمد بن على السنوسى ، الخطابى ، الادريسى (١) . والمسرح الزمنى لهذه الحركة هو النصف الأول من القرن التاسع عشر .

ولد فى قرية « الواسطة » بالقرب من بلدة مستغانم فى الجزائر . وينتهى نسبه الى الحسن السبط ، ابن على بن أبى طالب ، وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . كما ينتسب الى الأدارسة ، التى اسسس ادريس الأكبر دولة لهم فى مدينة « وليلى » بالمغرب سنة ١٧٣هـ (فى القرن الثامن الميلادى) . ثم انتقل مركزها بعد ذلك الى مدينة «فاس » العاصمة الجديدة . ومن هنا يلقب بالادريسى .

كما اخذ لقبه « الخطابى » من جده « خطاب بن على بن يحيى » . وأخذ لقبه السنوسى من جده « السنوسى بن العربى » الذى اخذه بدوره من قبيلة بنى « سنوسى » احدى قبائل تلمسان بالجزائر ، التى نزلت بجبل يسمى « سنوس » هناك بالجزائر . ومازالت تعرف عائلة السنوسى الكبير فى الجزائر حتى الآن بعائلة « الأطرش » .

وهو من عائلة عرفت بالعلم . ويرجع الى عمته ، السيدة فاطمة ، الفضل فى تنشئته الدينية والعلمية ، بعد أن توفى والده فى سن الخامسة والعشرين وبقى هو فى كنف عمته . ويقال : انه كان لها شغف علمى ، وانها انقطعت للدرس والتدريس ، والوعظ والارشاد . كما يقال : انه كان يتردد على مجلسها كثير من الرجال .

---

(١) عاش بين سنتى ١٢٠٢ — ١٢٧٦ هـ (٢٢ ديسمبر سنة ١٧٨٧ — ٧ سبتمبر سنة ١٨٥٩ م) ودفن فى الجغبوب .

وقد التحق ، وهو فى سن صغير ، بأحد معاهد بلدة « مازون » بالجزائر ، ثم ذهب الى مدينة « فاس » للالتحاق بجامع القرويين ... وقد اشترك فى تأسيسه احد اجداده . ويعتبر مركز العلوم الاسلامية فى هذا المحيط ، ويشبه الأزهر بمصر الى حد كبير . وهو ، وجامع الزيتونة بمثلان مقر الدراسات الدينية والعربية فى شمال افريقيا .

وتتلمذ فى هذا الجامع على سيدى محمد القندوز . وكان معروفا باعتداده برأيه ، وابتعاده عن طلب الزلفى لدى الحكام . وقد أعدمه الحاكم التركى للجزائر ، حسن بك ، سنة ١٨٢٩م تخلصا منه ومن أعوانه ممن كانوا يسمون : « الاخوان » .

وهناك فى جامع القرويين درس السنوسى الكبير فقه المالكية . وبعد أن أجيز قام بالتدريس فيه فترة من الوقت . ثم فى نفس الوقت تتلمذ فى التصوف فى زاوية « عين مهدى » على الشيخ أحمد بن محمد التيجانى (١) ، صاحب الطريقة التيجانية ، والذى أسسها فى آخر القرن الثامن عشر فى بلاد الجزائر . والى هذه الطريقة يرجع الفضل فى نشر الاسلام فى افريقيا الغربية .

وهذه الطريقة متفرعة عن الطريقة الخلواتية ، التى ظهرت للوجود فى القرن الرابع عشر الميلادى (٢) . والطريقة الخلواتية هى احدى الطرق الصوفية الثلاث الكبرى فى افريقيا « الادارية » — نسبة الى مدار خط الاستواء — والطريقتان الأخريان : القادرية ، والشاذلية .

والقادرية نسبة الى السيد محمد بن عبد القادر الجيلانى ، الذى ولد فى جوار بغداد (٣) ، ودخلت طريقته بلاد المغرب فى القرن الخامس عشر الميلادى على أيدى مهاجرى واحة توات فى جنوب الجزائر .

والشاذلية ترجع الى مؤسسها أبى الحسن على بن عبد الله الشاذلى (٤) .

---

(١) عاش بين سنتى (١٧٣٧ — ١٨١٤ م) .
(٢) نسبة الى السيد / محمد الخلواتى .
(٣) ولد سنة ٤٧٠ هـ (١٠٧٧ م) وتوفى سنة ٥٦١ هـ (١١٦٦م) .
(٤) عاش بين سنتى (٥٥٣ — ٦٥٦ هـ) .

وفى أثناء اقامته بفاس ، التى تبلغ سبع سنوات من سنة ١٨١٠ الى سنة ١٨١٧ م ، كان حريصا على زيارة الزاوية ، والاجتماع بالاخوان .

وفى سن الثلاثين من عمره ترك السنوسى الكبير مدينة فاس ، قاصدا مكة لأداء فريضة الحج . فسلك طريقه فى جنوب الجزائر الى مدينة « قابس » بتونس ، ثم الى مدينة طرابلس ، فمصراته ، فبنى غازى ... فالقاهرة ... فالحجـاز .

وهناك بالحجاز أقام ست سنوات ، درس خلالها الفقه الاسلامى على علماء مكة ، وتعرف أحوال المسلمين عن طريق اتصاله بالحجاج فى موسم الحج ، ثم عاد الى الجزائر ، حوالى سنة ١٨٢٥ م ، وبقى هناك حتى سنة ١٨٣٣م أى بعد الحملة الفرنسية على الجزائر بثلاث سنوات .

وذهب بعد ذلك مرة ثانية الى الحجاز ، وأقام بمكة ثمانى سنوات أخرى ، واظب فيها أيضا على الدرس .

ومن العلماء الذين اتصل بهم هناك :

السيد أحمد بن ادريس الفاسى (١) ، الرئيس الرابع للطريقة «القادرية المراكشية » وتجاوب معه علميا وروحيا ، وصحبه فى رحلته الى اليمن ، بعد أن ضايقهم علماء مكة . وكان معهما فى هذه الرحلة السيد محمد عثمان الميراغنى ، أحد تلاميذ السيد أحمد بن ادريس الفاسى أيضا . ومؤسس الطريقة الميراغنية فى السودان . وهناك أقاموا جميعا باليمن ثلاث سنوات .

وبعد أن توفى أستاذه باليمن ، عاد السيد السنوسى الكبير الى الحجاز . وهناك أسس « زاوية » جبل أبى قبيس . وبعد أن أنشأها ، والتف الناس حوله ، خشى رجال الحكم العثمانى من حركته هذه ، متأثرين فى ذلك بما لاقوه من مقاومة سابقة من رجال الحركة الوهابية .

وانضم الى هؤلاء الرجال الرسميين علماء مكة ، وأشرافها ، حرصا على مكانتهم ومنزلتهم . كما انضموا اليهم من قبل فى مقاومة الحركة الوهابية

---

(١) توفى فى اليمن سنة ١٨٤٣م .

للسبب نفسه . فوجد نفسه مضطرا الى ترك الحجاز ، فتركه سنة ١٨٤٥م ، وتبعه بعض أتباعه متجها الى القاهرة واقام فيها بضعة أشهر . ولكن لم تطب له الاقامة مدة أطول من ذلك ، لما لمسه من معارضة رجال الأزهر له ، ولتفكيره وطريقته فى فهم الاسلام فوصل الى واحة « سيوة » ، ومكث فيها فترة ، ووضع بذور الدعوة السنوسية . ثم رحل منها الى طرابلس الغرب قاصدا الى الجزائر .

ولكن فى رحلته من طرابلس الى مدينة « قابس » بتونس بلغه أن الفرنسيين استولوا على الجزائر كلها ، وكادت المقاومة الشعبية فيها أن تنتهى . فعاد الى طرابلس ، ثم منها الى برقة ، وانتهى به المقام فى مدينة بنى غازى فى ليبيا .

ثم عاد مرة ثالثة الى مكة فى سنة ١٨٤٦ م . ولم يلبث أن رجع الى برقة سنة ١٨٥٣م وأسس على حافة الجبل الأخضر ، من ناحية الجنوب ، زاوية « العزمات » . ثم بعد أن أقام فيها مدة انتقل الى الجغبوب فى الجنوب ، التى تبعد مائة وستين كيلومترا عن ساحل البحر الأبيض المتوسط وأسس بها زاوية الجغبوب سنة ١٨٥٦م .

وتعتبر جغبوب ملتقى لحجاج شمال أفريقيا عبر الأراضى المصرية وملتقى القوافل التجارية بين الصحراء الكبرى والسودان ، ووسط أفريقيا جنوبا وساحل البحر الأبيض المتوسط شمالا ، كما تعتبر زاوية هذه المحطة الزاوية النموذجية للحركة السنوسية من الوجهة الفكرية والنظرية والتطبيق العملى معا .

أما زاوية « الكفرة » التى تبعد نحو سبعمائة كيلومترا من ساحل البحر الأبيض المتوسط الى الجنوب فقد شيدت فى عهد خليفة السنوسى الكبير : السيد محمد المهدى .

والمدة التى أقامها السنوسى الكبير فى ليبيا ، ونشر فيها مذهبه ، تقرب من عشر سنوات . وفى هذه المدة أسس فيها احدى وعشرين زاوية . واشهرها :

زاوية البيضاء وسط الجبل الأخضر ، حيث يوجد قبر الصحابى رافع الأنصـــارى ،

والجغبوب ،

وواحة الفقه فى غزان ،

ومزدة فى جنوب طرابلس .

وقد اختيرت مواقع هذه الزوايا بحيث تعتبر مراكز على الحدود الليبية شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، مركزا للثقافة والتحصين ... وغير ذلك من الأهداف التى تتصـــل بغرض الزاوية ، كما سيأتى .

عوامل الحركة السنوسية :

والسنوسى الكبير ألم بالتراث الاسلامى فى جامع القرويين ، بعد أن حفظ القرآن الكريم فى موطن ميلاده . وتعرف على الزاوية وأهدافهـــا للطرق الصوفية فى الجزائر ، ومارس مع رجالها نشاط هذه الزاوية ثم وقف على أحوال العالم الاسلامى فى تردده على مكة عدة مرات . كما أدرك موقف المســـلمين عامة من غزو الجزائر على يد الفرنســـيين الصليبيين ، هؤلاء الحاقدين على المسلمين لأنهم مسلمون ، ولتمسكهم بدينهم ثم على ما ملكت أيديهم من ثروات عديدة .

ويمكن أن نلخص أحوال العالم الاسلامى على نحو ما تاثر بها السنوسى الكبير فيما يلى :

* ضعف حال المسلمين ضعفا اقتصاديا ، وخلقيا ، ودينيا ، واجتماعيا :

(أ) فالمستوى الاقتصادى لحياتهم متواضع ، أو ضعيف .

(ب) ويغلب على سلوكهم الخلقى عدم الثقة بالنفس ، وعدم رعاية حرمة الغير .

(جـ) وفهمهم للدين يقوم على أنه دعوة للتواكل ، وأنه جملة من العادات والتقاليد التى من شأنها أن تحجب رســـالة الله للانسان فى حقيقتها ، وأنه مذهب امام ، أو طريقة شيخ ، أو حرفة دجال أو منجم .

(د) وجماعتهم مفككة ، ووعيهم الاجتماعى يكاد ينعدم ، والعصبية الطائفية طغت على روح الجماعة العامة ، والخصومة بين الطوائف تأخذ من تفكير المسلمين ونشاطهم أكثر مما يمنحونه للسعى فى الحيـــاة ، لخير انفسهم وجماعتهم .

* ضغط العالم المسيحى على المسـلمين ، لا لاســتغلاله اقتصاديا فحسب بل لممارسة « الحروب الصليبية » فى صورة اخرى على نحو ما عرف من احتلال الجزائر عام ١٨٣٠ م ومعاملة السلطة الفرنسية المسلمين هناك معاملة تقوم على اذلالهم ، وتجريدهم من مقومات شخصيتهم العامة .

* ضعف المركز الرئيسى للســلطة الاســلامية العليا وهى الخلافة العثمانية عن مقاومة الضعف الداخلى ، وعن حماية البلاد الاســلامية من الاعتداء الخارجى عليها .

هذه الحال للعالم الاسلامى ، مع تنشئته النشأة الاسلامية : النظرية والعملية معا ، ومع اتصاله فى هذه التنشئة بعلماء لهم تاريخ مجيد فى التضحية والايمان مثل : السيد محمد بن القنذور ، والسيد العربى بن أحمد الدرقاوى من اشياخ الطريقة الشاذلية ، والسيد أحمد بن محمد التيجانى الصوفى الكبير — خلقت منه زعيما لحركة اسلامية فى النصف الأول من القرن التاسع عشر تتميز عن الحركتين الاسلاميتين قبلها وهما : حركة ابن تيمية ، وحركة محمد ابن عبد الوهاب ، وان اشتركت معهما فى الأسس والغاية ، وتأثرت بمثل الظروف والعوامل التى تأثرت بها هاتان الحركتان .

فالعوامل التى أحاطت بمؤسس الحركة السنوسية فى النصف الأول من القرن التاسع عشر هى نفسها التى أحاطت بابن تيمية فى القرن الرابع عشر قبله ، وهى نفسها لم تتبدل فى وقت محمد بن عبد الوهاب فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر :

* اذ الشعور بضعف المسلمين بسبب الفرقة المذهبية وبسبب التوجيه المنحرف غير الاسلامى ، والشعور بضعف السلطة الاسلامية العامة — كما كان الحال فى بغداد على عهد ابن تيمية ، وكما كان فى القسطنطينية على عهد محمد بن عبد الوهاب ، ومحمد بن على السنوسى الكبير — كان واضحا

فى محيط هؤلاء الدعاة جميعا . وهو شىء غير مستور يفتش عنه ، بل شىء يواجه القارىء للتاريخ الاسلامى فى كل عصر من هذه العصور مواجهة واضحة قوية .

* أما الشعور بضغط العالم غير الاسلامى على العالم الاسلامى فهو كما سبق يتمثل فى عهد ابن تيمية فى هجوم التتار وهجوم الصليبيين منذ آخر القرن الحادى عشر الى قرب نهاية القرن الثالث عشر ، وفى عهد ابن عبد الوهاب ومحمد بن على السنوسى بدا يتمثل فى هجوم الاستعمار الغربى على رقعة العالم الاسلامى ، فى مكان اثر مكان ،

ولهذا سنرى أن ما يؤثر من آراء السنوسى ، وما يؤثر لابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب بعده ، ويعرف أيضا لمحمد بن على ، مما يعتبر جميعه رد فعل لعوامل واحدة ، وفى الوقت نفسه علاجا لحال متشابهة .

ولكن اذا كان هؤلاء الثلاثة اشتركوا فى التأثر بعوامل واحدة ، وكانت دعوتهم صدى لها — فانهم يفترقون فيما بينهم بالسبيل الذى سلكه كل واحد منهم فى تحقيق الدعوة . والفرق فى هذا السبيل قد يكون :

فى الفرق بين استعمال الشدة والضعف ، أو سلوك اللين والاقناع ،

وقد يرجع الى تخير جانب من جوانب الآراء ، وتقديم هذا الجانب على غيره فى التطبيق والتنفيذ مراعاة للظروف والأحوال التى تحيط بصاحب الدعوة .

فقد اشتد ابن تيمية وقسا فى طلب تحقيق آرائه ، وأراد أن يحققها دفعة واحدة . فخاصم الجميع وحاربهم . ومن أجل ذلك رمى بحق أو بغير حق ، بالخروج عن الجماعة الاسلامية ، على نحو ما رمى هو خصومه .

ومحمد بن عبد الوهاب اتبع نفس الأسلوب : ولحقته نفس النتائج التى لحقت أستاذه ابن تيمية من قبل .

أما السنوسى الكبير فآثر مهادنة السلطة الاسلامية المركزية كما يأتى . وهادن الصوفية كما يبدو فى كتابه : « السلسبيل المعين فى الطرائق

الأربعين » . وتخير من بين هذه الطرق طريقة خاصة به . وانتفع بأسلوبهم في الاجتماع والانتقاء بالمريدين والأتباع ، واستخدم أسلوب الاقناع والمؤدة، كما يتضح في كتابه : « ايقاظ الوسنان » . وعنى بالمودة والمعاونة وتجنب القسوة والعنف : بدا ذلك في « زاويته » التي اتخذ منها ومن نشاطها تحقيق التعاون والمحبة بين الجميع . وقد آثر أن يكون أمة لا دولة ، وأن يكون مريدا لا حاكما ، وأن يكون أخا لا سيدا .

وتاريخه هو تاريخ أمته وحركته ،

ومنهجه في حياته هو صراطه وطريقته ،

وتفكيره هو تحكيم كتاب الله .

ولم يعن في حياته بما يقال عن شخصه بين أتباعه . وهو لهذا لا يهتم بما توصف أو تسمى به حركته ومذهبه بعد مماته . فقد اهتم بشيء واحد : أن يكون مسلما ، وأن يكون أتباعه مسلمين أعزاء على أنفسهم ، كرماء على غيرهم .

وسنرى أيضا أن هذه الحركة السنوسية تتميز عن الحركتين السابقتين عليها ، بأنها رأت في شخص الداعي الامام في الدعوة ، وصاحب الحق في الفصل في الخصومات بين الأتباع ، وفي فرض الضرائب والمكوس . وبذلك تفادت الازدواج الذي صحب الحركة الوهابية ، وأزالت الثنائية بين رجال الدعوة ورجال السلطة المشرفة على تنفيذ مبادىء الدعوة ، كما تفادت معاداة السلطة القائمة ، على عهد ابن تيمية ، لآرائه وتفكيره .

ثم تتميز أيضا بأنها زاوجت بين الآراء النظرية والتطبيق العملي لها في حياة « الزاوية » ، وأخذت أتباعها بالترويض على صفاء النفوس ، بجانب صقل عقولهم بثقافة القرآن وتعاليم السنة الصحيحة : وبهذا يحق أن تعد هذه الحركة دستورا لحياة أقرته وآمنت به .

١ ــ تعاليم السنوسية :

للسنوسي الكبير ثلاثة كتب يمكن أن تصور الأسس التي قامت عليها الحركة السنوسية .

ففى كتاب : « **ايقاظ الوسنان** » تحدث فيه :

أولا : من وجوب الرجوع الى القرآن والسنة ،

وثانيا : وعن بيان أن : دلالة الكتاب والسنة واحدة ،

وثالثا : وعن وجوب اتباعها ، وتقديمها على رأى كل مجتهد ،

ورابعا : عن رأيه فى العمل بالحديث ، وفى رأى الفقهاء ، والمحدثين ، **والأصـــوليين فيه ،**

وخامسا : عن القول بالاجتهاد ، ورده على ذلك الزعم القائل : ان الاجتهاد قد انقطع بالاجماع ،

وسادسا : عن نعية على التقاليد ، ومما يقوله فيه :

« . لايجب انحصار التقليد فى الأئمة الأربعة ، رضى الله عنهم ، لأنه لا واجب الا ما أوجبه الله ورسوله ، ولم يوجب الله ولا رسوله على أحد من الناس أن يتمذهب بمذهب رجل من الأئمة ، فيقلده دون غيره . بل لايصح للعامى مذهب . ولو سلم لم يلزمه ، ولا أحد من الخلق قط ، أن يتمذهب **لرجل من الأئمة بأخذ أقواله كلها ، ويدع أقوال غيره كلها .**

« وهذه بدعة قبيحة حدثت فى الأمة ، لم يقل بها أحد من أئمة الاسلام ، فيالله العجب ؟ ماتت مذاهب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومذاهب التابعين وتابعيهم ، وسائر الاسلام ، وبطلت جملة الا مذاهب أربعة أنفس فقط من بين الأئمة والفقهاء . وهل بذلك قال أحد الأئمة ، أو دعا اليه .؟ أو دلت لفظه واحدة من كلامه عليه ؟ . والذى أوجبه الله ورســـوله على الصحابة والتابعين هو الذى أوجبه على من بعدهم .. الى يوم القيامة ، لا يختلف الواجب ولا يتبدل ، وان اختلفت كيفيتـــه ، أو قدره ، باختلاف القدرة والعجز ، والزمان والمكان ، والحال . فذلك ـــ أبدا ـــ تابع لما **أوجب الله** » (١) .

وفى كتاب : « **المسائل العشر** » ـــ وهو المعروف بكتاب « **بغية المقاصد وخلاصة المراصد** » ـــ يذكر :

---

(١) كتاب السنوسية دين ودولة للأستاذ محمد فؤاد شكرى ، ص ٣ .

أولا : ان هدى الأئمة الراشدين فى الفتوى ، والمذاهب ، والقضاء ، هو لفهم المسلمين فى القرآن والسنة ،

وثانيا : أن السلوك الخلقى السليم هو الذى يتأيد بالكتاب والسنة ،

وثالثا : يتكلم مرة أخرى عن الاجتهاد والتقليد والفرق بينهما وبين أنواع الاجتهاد والمجتهدين ، وأبطل الزام انحصار التقليد فى المذاهب الأربعة على عكس محمد بن عبد الوهاب فى التزامه مذهب أحمد بن حنبل ،

ورابعا : ثم يكرر مرة أخرى رأيه فى كلام المحدثين ، والأصوليين ، والفقهاء فى العمل بالحديث وتفرقهم فيه .

وفى كتاب « **السلسبيل المعين فى الطرائق الأربعين** » — وهو على هامش كتاب « **المسائل العشر** » — تحدث مؤسس السنوسية عن الطرق الصوفية ووصف الطريقة المثلى . التى رضى بها ، والتى عرفت بنسبتها اليه ،

وهى طريقة تقوم على البساطة فى التعبير وقت العظة ، وتستند فى وصاياها الى آيات القرآن الكريم . وتذكر العظة ، وتقرنها بالآية القرآنية . وما فى العظة هو معنى الآية مبسطا .

كما تقوم هذه الطريقة على دعوة التعاون ، والاخوة ، والتماسك . والاجتماعات التى تهيئها الطرق الأخرى للذكر والدعاء توجهها « الطريقة » السنوسية فى عمل تعاونى كاطعام الفقراء ، واستقبال الوافدين ، واكرامهم وتوجيههم نحو المحبة والصفاء .

وقد أبعد السنوسى الكبير من طريقته التى اختارها الحديث عن كرامات الأولياء ، وخوارق العادات ، وميزات « المتقدمين » و « المريدين » . واستعاض عن ذلك بالحديث عن « أحدية الله ، ورعايته لخلقه » .

وبذلك كانت طريقته تدريبا عمليا لتصفية النفوس ، ومحبة بعضها لبعض ، طبقا لمنهج الاسلام المرسوم ، الذى لم يتغير بتأويل أو فهم ، تحت رغبة خاصة .

وميزتها أنها وجهت خصيصة الطرق الصوفية فى الاجتماع الأسبوعى ، الى غاية عملية مثمرة ، لاشعوذة فيها ولا دجل . والحديث فيها هو الحديث عن الله جل شأنه ، ومن كتابه . لايذكر فيها انسان آخر من شيوخ الطريقة ومقدميها . وموعد الاجتماع الأسبوعى حدد له الجمعة والاثنين من كل اسبوع .

٢ — الزوايا السنوسية :

والزاوية السنوسية هى الجانب الرئيسى الثانى فى الحركة السنوسية . هى التطبيق العملى للفكرة الاصلاحية التى نادى بها محمد بن على السنوسى الكبير .

والزاوية من الجهة المساحية : كانت تضم المؤسسات الآتية :

(أ) مسجدا .

(ب) ومدرسة لتحفيظ القرآن الكريم .

(جـ) ومعهدا دينيا ، لتدريس العلوم الاسلامية لمن أتم حفظ القرآن ، يعد للالتحاق بالأزهر فى المرحلة العالمية .

(د) ومساكن للطلاب الغرباء . ويطلق عليها « خلوة » . وهى مقسمة حسب موطن الغرباء ، وكل قسم منها يسمى « رباطا » .

(هـ) ومكتبة علمية .

وكان بزاوية جغبوب مكتبة تحتوى على ثمانية ألف مجلد فى الفقه الاسلامى والتاريخ ، وتفسير القرآن ، والأدب ، وعلم الفلك . وقد ضاعت هذه المكتبة بعد احتلال الطليان لواحة جغبوب فى سنة ١٩٢٥ على اثر تنازل الحكومة المصرية عن هذه الواحة للحكومة الايطالية . تحت ضغط النفوذ البريطانى فى مصر فى عهد حكومة زيور باشا .

(و) وبيوتا « للاخوان » تقام حول هذه المؤسسات لسكنى الاخوان ، وهم الأعوان والأساتذة .

(ز) ومجلسا للضيوف . وهو مكان يعد لاستقبال الوافدين واقامتهم فترة من الوقت .

وكل هذه الأبنية والمؤسسات يلتف حولها سور خارجى . به عدة أبواب .

وكما كانت تضم الزاوية جملة من المؤسسات على هذا النحو ، كان يلحق بها بعض الأراضى الصالحة للزراعة ، وبعض دور أخرى للمرضى والصناعة المهنية ، مما له اتصال بتيسير الاقامة للطلاب والأتباع .

ولذا كانت لاتقام الزاوية الا فى بقعة مختارة اختيارا دقيقا بحيث تسهل فيها الحياة ، وبحيث تؤدى فيها الرسالة لأكبر عدد من الرواد والمقيمين . فكانت لا تقام الا بجوار الآبار ، وعلى الأطلال التى خلفها الرومان فى الصحراء الغربية ، وفى المواضع الصالحة للزراعة . وفى المواقع الاستراتيجية ، كأن تكون فى تقاطع عدة طرق ، أو ملتقى للقوافل ، أو قريبة من الحدود الليبية ، فى اتصالها بمصر ، أو بتونس ، أو الجزائر ، أو السودان ، أو قلب الصحراء الكبرى .

وكانت زاوية جغبوب تعتبر النموذج للزاوية السنوسية ، فى اختيار موقعها ، وفى عدد مؤسساتها ، وفى المشاركة العملية التى كانت تتم بين الطلاب والاخوان فى الدرس أو فى الحقل ، او فى دار المهنة والحرفة . وكان السنوسى الكبير فى أثناء اقامته فى جغبوب ، يشترك مع الطلاب فى يوم الخميس من كل أسبوع ، فى النشاط الذى يؤدونه فى الحقل . وكان يقصد بذلك أن يوحى الى هؤلاء الطلاب بأن العمل من أجل العيش والحياة لايقل شأنا عن تعلم الدين والعلم .

والزوايا السنوسية تحولت عندما بدأ الغزو الايطالى فى ليبيا سنة ١٩١١ م — الى مراكز للمقاومة . وأدت فى خدمة الوطن الليبى مهمة جليلة . اذ بفضلها استمرت المقاومة الشعبية من سنة ١٩١١ الى سنة ١٩١٨م . ولم تنته المقاومة الا بعد أن تألب الاستعمار الغربى فى أفريقيا فى صورة هجمة على ابادة البقية الباقية من أتباع الحركة السنوسية :

فسلمت انجلترا جغبوب الى ايطاليا باسم الحكومة المصرية ،

ودخلت الجيوش الفرنسية واحة غزان باسم المحافظة على تونس . وباسم « الباى » هناك فى تونس ،

وكان آخر عمل وحشى قام به الغزاة المستعمرون من الأوربيين ، للاجهاز على المقاومة الشعبية السنوسية القاء السيد عمر المختار ـ من قواد الحركة السنوسية ـ من طائرة حلقت به فوق جمع كبير من الليبيين ، وقتل لوقته ، وأراد الحاكم الايطالى « جراتزاياني » بذلك ان يثير الرعب فى قلوب الأحياء من الليبيين ، عندما أراد أن ينتقم بهذه الصورة البربرية من زعماء حركة المقاومة .

وبعد أن انتهت المقاومة الشعبية هناك فى ليبيا ، اتخذ الايطاليون الرسميون هذه الزوايا مراكز لتثبيت استعمارهم . فجعلوها نقطا للحراسة على الحدود . ولتتبع بقية الأتباع والاخوان ، وللاشراف على القوافل المارة وحركة التجارة العابرة ، بين ليبيا والبلاد المجاورة .

وكان للحركة السنوسية مجلس يسمى مجلس « الاخوان » وكان يتألف على عهد السنوسى الكبير . من :

١ ـ السيد أحمد الريفى ، من الجزائر .
٢ ـ والسيد على عبد المولى ، من سفاقس بتونس .
٣ ـ والسيد عمران بن بركة الفيتورى ، من ليبيا الغربية .
٤ ـ والسيد محمد مصطفى المدنى ، من تلمسان بالجزائر .
٥ ـ والسيد محمد البكرى ، من واحة بسكرة بالجزائر .

وكانت مهمته مباشرة « الاعداد » فى الزوايا المختلفة والوجيه حسب أصول الفكرة السنوسية .

أما رسالة الزواية السنوسية فكانت تتجه الى خلق جيل من المسلمين يتسم بالتسامح فى علاقة بعضه ببعض . وبصفاء النفس من الاحقاد والضغائن ، وبالايمان بالله ، وبالحمية من أجل الله والوطن . كانت تحاول بناء جماعة قوية متساندة ولايغمز جانبها بالنسبة للعدو الخارجى ، ولايترك فرد منها فردا آخر دون أن يعاونه ، ويكون له أخا فى الشدة قبل اليسر .

ومن أجل توحيد الاشراف على حركة التوجيه فى المجاملات المختلفة كان

الأشخاص الذين يقومون بالتدريس ، هم أنفسهم الذين يقومون بالفصل في المنازعات ، وهم الذين يتولون أعمال البر ، وجباية الزكاة والضرائب الأخرى ، وهم الذين يتولون الوعظ في النادى ، والتبشير بالاسلام بين القوافل المارة • وكان للقبائل المجاورة في السكنى للزاوية فضل غير قليل في معاونة رجال الحركة السنوسية على القيام برسالة الزاوية • سواء في تمكينهم بالمساعدات المالية والعينية السخية ، أو في تأمينهم من الأحداث الفاجئة ضد سكان الزاوية من العرب الرحل والأغراب •

وقد أحالت الزاوية القرآن الكريم الى دستور عملى للمسلمين في حياتهم ، وجعلته مصدر تشريع وتوجيه ، وكتاب تلاوة للأذكار ، ومصدر خشية من الله ، بما فيه من قصص وعبر ، وبما فيه من حديث عن الجزاء ، والثواب والعقاب •

السنوسى والخلافة العثمانية :

ولم تكن هناك دوافع لدى السنوسى الكبير لمعاداة الخلافة العثمانية في واقع الأمر • فلم يكن هو يطمع في الخلافة • ولايسعى لمحاربة العثمانيين • بل على العكس : كان يرى المحافظة على الاستقرار في مركز الخلافة العثمانية ، في وقت اشتدت فيه عوامل الاضطراب ضد العالم الاسلامى ، وضد الخلافة العثمانية من الأوروبيين • وبالأخص بعد ما احتلت فرنسا الجزائر •

وربما كان لدى الحكام والولاة من الأتراك في ليبيا شيء من الحذر والاحتياط من حركة السنوسى ، أوجده الاحتكاك السابق من رجال الخلافة العثمانية برجال الحركة الوهابية • والحركة السنوسية قريبة الشبه في تفكيرها بحركة محمد بن عبد الوهاب •

ولكن هذا الاحتياط خف أثره ، بعد ماتبين على ممر الزمن ، أن هدف هذه الدعوة :

هو العمل على استقرار الأمن الداخلى ، والتوجيه الروحى السليم • ولذلك لم يجد الحكم في برقة هدوءا داخليا ، مثل ماوجده في العشر سنوات التى استقرت فيها الحركة السنوسية في زواياها هناك •

ومما يدل على حسن العلاقة بين السنوسى الكبير والخلافة العثمانية ، أن السلطان عبد المجيد الأول ، فى سنة ١٨٥٦ م ، منح السنوسية عهدا يعفى جميع أملاكها من دفع الضرائب ، وفى نفس الوقت يسمح لرئيسها بجمع الأعشار الدينية ، وهى « الزكاة » من أتباعها • وقد صدر فرمان هذه الارادة السنية من استنبول وحمله الى برقة السيد عبد الرحيم المعبوب « من أتباع السنوسى » •

وقد تأكد هذا الاعفاء مرة أخرى من جانب العثمانيين فى عهد السلطان عبد العزيز « شقيق السلطان السابق » ، عندما أحضر السيد أبو القاسم العيساوى فرمانا آخر من استنبول الى والى طرابلس ، وفيه مايؤيد استمرار هذا الامتياز • ويضيف الى ذلك حرمة الزاوية السنوسية فى حدود الأراضى الخاصة بها •

ومهما خامر الاتراك الشك فى الحركة السنوسية ، فانهم كانوا على اعتقاد بأن السنوسيين سيكونون أعوانهم فى حرب يخوضونها ضد الأوروبيين • وقد برهن الغزو الأيطالى على صحة هذا الاعتقاد •

ولكن يحلو للغربيين المسيحيين المستعمرين فى دراساتهم لهذه الحركات ان يوجدوا شقاقا بين السنوسيين والخلافة العثمانية • فيتحدثون عن جفوة بين الطرفين • أساسها رغبة السنوسى فى الاستقلال والملك من جانب ، وحرص الخلافة العثمانية من جانب آخر على الامبراطورية الاسلامية ، ولايجد هؤلاء الدارسون مبررا لهذا الشقاق الا القياس على ما كان بين السلطة فى استنبول وأصحاب المذهب الوهابى فى نجد والحجاز من خلاف ، جر الى حرب أهلية بين الطرفين •

على ان هؤلاء الغربيين المستعمرين ، لمصلحتهم هم أنفسهم ، يعودون فيتحدثون عن الوئام التقليدى الذى كان بين السنوسيين فى ليبيا والخلافة العثمانية فى تركيا • ولكنهم لايتحدثون عن ذلك الا عندما يرددون فى الوقت الحاضر الربط بين ليبيا من جانب وتركيا العلمانية من جانب آخر ، حتى يحولوا دون الربط الأخوى بين الدين ، واللغة ، والجوار بين مصر وليبيا الشقيقة • وبذلك يسهل للاستعمار الغربى أن ينتفع بقواعده الحربية فى ليبيا على رضاء السلطة الليبية والشعب الليبى • فاتصال تركيا العلمانية بليبيا ، عن طريق

تدريب الضباط الأتراك للجيش ، وعن طريق الربط الثقافى والاقتصادى بين البلدين ، من شأنه تقريب الاتجاه العلمانى فى الشرق الأوسط الراى العام الليبى . اذ هذا الاتصال سيثير الربط التقليـــدى بين امام الحركة السنوسية والخلافة العثمانية فيما مضى ، ويتخذ وسيلة للتقريب بين سياسة البلدين فى الوقت الحاضر . لأن تركيا الحديثة ، التى تتنكر لكل حركة اسلامية وعربية ، هى عنوان للوجود العلمانى فى الشرق الأدنى الاسلامى .

طابع الحركة السنوسية :

* لم تكن السنوسية حركة قومية محصورة فى قوم معينين . بل كانت حركة دينية عامة : فى برقة ، وفى طرابلس ، وفى تونس ، وفى مراكش ، وفى مصر ، وفى الحجاز ، وفى السودان ، وفى غرب ووسط افريقيا .

* ولم تكن نشر فكرة ، بقدر ما عنيت بالفكرة من حيث : تطبيقها فى الحياة العملية .

* ولم تكن دعوة للانقطاع الى العبادة . أنما كانت دعوة الى العبادة والسعى فى الحياة معا .

* ولم تكن دعوة للاستسلام وللتواكل . بل كانت دعوة الى التوكل على الله ، واعداد الانسان بتعليمه الرماية ، واستخدام السلاح ، للدفاع عن النفس والوطن الاسلامى .

* واستفادت بطلب الرجوع الى الكتاب والسنة فى الاستشهاد بآياته فى العظات والتوجيه الروحى .

وهدفت الى تصفية النفوس ،
والى ربط الأفراد برباط روحى أخوى ،
والى توجيههم نحو أمنهم فى الداخل والخارج ،
وقضت بينهم فى الخصومات .
وأخذت من غنيهم لفقيرهم .

وأعطت من عالمهم لجاهلهم ٠

وضربت بشيوخها المثل فى الصفاء والزهد فى الدنيا ، والتضحية فى سبيل الهدف العام ٠

وطالبت بالرجوع الى الكتاب والسنة ٠

وطالبت بممارسة الانسان عمله الفكرى فى الكتاب والسنة و «الاجتهاد» فيهما ٠

وآمنت بأسلوب الاقناع ، وتجنب أسلوب العنف والشدة ٠

وعملت على صيانة سلطان الخلافة العثمانية وصدت عمل الحلفاء الغربيين ٠

* فهل هى حركة روحية تسعى لتطهير النفوس ؟

* وهل هى حركة فكرية تسعى لتوضيح المبادىء وتستند الى المنطق الانسانى فى ذلك ؟

* وهل هى حركة اجتماعية ، رأت فى الزاوية خلق الوعى الاجتماعى وتأكيده فى جماعتها ؟

* وهل هى حركة ثقافية تعليمية ٠ تسعى الى تنوير اتباعها عن طريق المعرفة ؟

* وهل هى حركة سياسية تهدف الى قيام بما تقوم به دولة نحو رعاياها فى تأمينهم على حياتهم فى الداخل بالفصل فى الخصومات بينهم وتوجيههم نحو العمل من أجل العيش ، وفى الخارج باعدادهم للدفاع عن أنفسهم كجماعة وأفراد ؟

* وهل هى صورة من حركة محمد بن عبد الوهاب ، اقتنع بها مؤسسها أثناء اقامته الطويلة بمكة لدراسة تعاليم الوهابية وأصولها ؟

كل هذا يصح أن يقال ٠

وما يقال عندئذ له سند فى تاريخ هذه الحركة ٠

ولكنها قبل كل شىء حركة اسلامية : تركزت فى برقة ، وظهرت فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، وكان لها أثر أيجابى فى مقاومة الاستعمار الغربى ، وفى تأسيس الدولة الليبية الحديثة ٠

واذا كنا نرى من زاوية التاريخ قيمة هذه الحركة فى بناء جماعة اسلامية قوية تتحد فى داخلها ومع بقية الجماعات الأخرى فى الوطن الاسلامى ٠ وتتكتل ضد الاستعمار الصليبى ، فانا نرقب فى أمل أن يعود هذا التاريخ الماضى للسنوسية ، ويتبلور فى هذه الدولة الفتية الحديثة ، ليبيا المستقلة . وتصبح صلبة غير طيعة فى مواجهة الاستعمار الشرقى ، ومتحررة من كل أثر للصليبية الأوروبية ، وللالحاد الماركسى ٠

ان أخوف شىء الآن على ليبيا المعاصرة ، التى أسستها الحركة السنوسية الاسلامية ، أن تنحرف فى تيار الماركسية اللينينية باسم « الثورة » أو باسم « الاشتراكية » وتنقلب رأسا على عقب من ايمان بالله الى كفر به ، ومن روحية معتدلة مستقيمة الى مادية طاغية ، وهى لم تمارس « الاستقلال » بعد ، ولم يتهيأ لأبنائها أن يقفوا على أقدامهم ثابتين فى نظرتهم الى تيارات الاستعمار الجديد ٠ وهى تيارات العقلية اليهودية العالمية باسم « الثورية » مرة ، وباسم « الليبرالية » مرة أخرى ٠

انه دعاء وأمل ، ولكن فى خوف ووجل ٠

* * *

محتويات الكتاب

الموضـــوع	الصفحة
مقـــــدمة :	٣
تمهيد : الفكر الاســـلامى	٦
الفصـــل الأول	
(١٦ ـ ٢٥)	
تقييم الفكر الاســـلامى فى مرحلته الأولى	١٦
الفكر الاســـلامى فى جانب التفلسف	١٧
الفصـــل الثـانى	
(٢٦ ـ ٣٢)	
اعادة بنـــاء المجتمع الاســـلامى	٢٦
الفصـــل الثـالث	
(٣٣ ـ ٦٩)	
ابن تيميـــة	٣٣
أسس النقد عند ابن تيمية	٣٥
ابن تيميـــة والشـــيعة	٣٨
مـــع غلاة الشـــيعة	٤٢
تعاليم الاســـماعيلية	٤٥
١ ـ فى جانب الله	٤٧

obeikandi.com

الموضـــوع	الصفحة
٢ ـ فى جانب الوجـود والعـالم	٤٨
٣ ـ فى جانب الانسان	٤٩
ابن تيميـة وملاحدة الصوفية	٥٤
ابن تيمية والفلاسفة	٦١
ابن تيميـة والمتكـلمون	٦٣
ابن تيمية والفقهـاء	٦٤
ابن تيمية والمفسرون وأهل الحديث	٦٨

الفصـــل الرابع

(٧٠ ـ ٨٤)

محمد بن عبـد الوهـاب	٧٠
١ ـ الجانب السياسى	٧٢
٢ ـ الحركة الدينية الاصلاحية	٧٤
أسس الدعـوة الوهابيـة	٧٥
التعليق على حركة محمد بن عبد الوهاب	٧٩

الفصـــل الخامس

(٨٥ ـ ١٠٢)

الحركة السـنوسية	٨٥
عوامل الحركة السنوسية	٨٩
١ ـ تعاليم السنوسية	٩٢
٢ ـ الزوايا السنوسية	٩٥
السنوسى والخلافة العثمانية	٩٨
طـابع الحركـة السـنوسية	١٠٠
محـتويات الكتـاب	١٠٣

رقم الايداع ٢٨٥٣ / ١٩٨١

الترقيم الدولى × ـ ١٣ ـ ٧٣٣٥ ـ ٩٧٧

obeikandl.com